نقش على صخرة الجنوب[1]

إبراهيم ياسين

. . من جراح الخيلِ،
أو من زَفَّةِ الفرسان. .
أعراس الدم المسفوكِ. .
لا تاج الخيانات. . ولا ذلّ الشعاراتِ. .
ولكن ما تسرُّ السنبلهْ
لعصافيرِ الغروبْ
لِـ (عَشيَّاتِ الحمى) المنهوبِ
في كفّ الرياح السُّودِ أشلاءً مُدَمَّاةً
على صدد الدروبْ
حينما تأخذ، حتى الشمس، شكلَ القنبلهْ
من حكايا صخرةٍ تورقُ أزهارَ دمٍ
في واحة الصَّمتِ الكئيبْ
وعليها تنقشُ اسْمَ الوطن السابحِ
في الأعراق حبَّاتُ القلوبْ
وَتشهِّي الطعنة المرتجلَه
من شموخ النسر في ذروته. .
من جنون البحر في محنته. .
من حنين الموج في الأسرِ. .
اشتياقات الدروب المقفَلهْ
للذي يأتي كطير الفجر من (فيحاء). .
لا ما تزعمُ الأحزابُ والأعرابُ. .
أو ما تُنبِىءُ الساعةَ أسفارُ الغيوبْ
من هنا تبتدىء الرحلةُ صوبَ المرحلهْ
فامتشقْ كالبرق بقيا وجهك المزروعِ. .
بالآلامِ، أشرقْ في دجى الأيامِ. .
ثانيةً أَضِىءْ فاصلةَ الوقتِ. .
ارتحلْ كالسيف في خاصرةِ الصمتِ. .
تشرَّدْ، كالرؤى، ما شِئتَ، بين العصفِ
والقصفِ، اشتعلْ كالريح في ثوب اللهيبْ
وتألَّقْ قمراً أزرق في جفن (الجنوبْ)
ثم بَشِّرْ رُسَلَ الأحقادِ وَالطَّيرَ الْأَبابيلَ. .
هنا لا حائط المبكى. . ولا هيكل بلقيس. .
ويا نجمةَ «داوود» هنا هاويةُ البْغيِ
وبيروتُ التي تستبق الموتَ إلى
موعدها الأخضر من أشلائها
تنسجُ أكفانَ الغريبْ
وتُواري بالدَّمِ المسفوحِ آثارَ
الطغاةِ الْقَتَلهْ
فاشمُخي كالسنبله
وارقصي كالشمس في ليل الرؤى المشتعِلَة
يَتُها الأرضُ التي تأخذُ شكلَ النبضِ
فينا وَالقلوبْ
كيف (سُبحانكِ) تمشينَ
على الجمر، وتلقينَ ــ كما الفجر ــ الحبيبْ؟
حاملاً زنبقةَ الروحِ لعينيكِ فِداءْ؟!
وعلى أهدابه السمراء عرسٌ من ضياءْ؟!
يجرحُ الشمسَ ليسقي فجرَكِ الظامىء
أكْوابَ السَّناءْ!!
هو ذا ينثرُ أجرامَ السَّمواتِ. .
وفي عُرسِ الجراحات يُنادي:
آهِ. . يا صمتَ البوادي!
ها. . بلادي
قمرٌ يولد من ليل الحدادِ
ها. . بلادي
صرخةٌ تكبرُ كالإعصار في وجه الأعادي
نخلةٌ لو داعبتها الريحُ تُذكّي
جَمرها المخبوءَ في كهف الرمادِ
ها. . بلادي. .
ها. . بلادي. .

بصرى الشام ــ سوريا

---

(١) من مجوعة شعرية تصدر قريباً بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق تحت عنوان (أناشيد لامرأة. . اسمها العاصفة).